

الوظيفة (الدلالية / الإيقاعية) لقافية الجملة الشعرية

Rhythmic / semantic function of rhyme the poetry phrase

ط/د أحمد بسعود *

د/ إبراهيم فضالة *

تاريخ النشر: 2020/06/30	تاريخ القبول: 2020/04/02	تاريخ الإرسال: 2020/01/16
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

تعتبر القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر وركن من أركان النص الشعري ؛ فهي وحدة عروضية تمثل فواصل موسيقية ذات بنية منتظمة صوتيا وزمنيا ، لها وظيفة مركزية من الناحية الإيقاعية والدلالية . ووظيفتها هذه تظهر في الجملة الشعرية جليا لذلك ارتأيت من خلال هذه الورقة البحثية رصد الوظيفة الإيقاعية والدلالية للقافية من خلال ثلاث جمل شعرية للشاعر الأخضر فلوس من ديوانه « مرثية الرجل الذي رأى ».

الكلمات المفتاحية: القافية ، الجملة الشعرية ، الإيقاع ، الدلالة ، الروي.

Abstract:

The rhyme is considered as an allied(partner) to the poetry domain and a basic element to the poem text, It is a prosody unit represents musical continuity that has a regular structure in its Time and Sound, It has a central function regarding to the rythme and the semantic aspects, Its role clearly appears in the poem phrases. According to that i decided through this peace of research to surveil the rythme/semantic of the rhyme function depending on three poetry pieces (phrases) written by the poet El-Akhdar Fellous from his collection of poems named(the dirge of the man who saw) .

Key words: the rhyme, the poetry phrase, the rythme, semantic, rhyme letter.

*** **

المؤلف المرسل: أحمد بسعود benyonnesahmed@gmail.com

* جامعة البليدة 2 لونيبي علي benyonnesahmed@gmail.com

* جامعة البليدة 2 لونيبي علي brahimfedala@yahoo.com

مقدمة:

تكتسي القافية أهمية كبيرة في الشعر العربي عموماً ؛ فقد كانت ولا تزال تحتفظ بمكانتها في بناء القصيدة العربية وإن كان هناك تحرر من قيود القافية التقليدية إلا أنها باقية وضرورة ملحة لا يمكن نبذها .>> فمهما يكن من فكرة القافية وإرسال الشعر فإن الشعر الحر بالذات يحتاج إلى القافية احتياجاً خاصاً وذلك لأنه يفقد المزايا المتوافرة في شعر الشطرين الشائع >>¹ ، إذا فالقافية لم تغب وإنما تطورت لتكون أكثر ملاءمة لبناء القصيدة المعاصرة ، ولتكون أكثر حيوية وحركية تبعاً لهذا العصر وما يحمل من تسارع . من هنا يكتسي البحث أهميته في الحديث عن مكون أساسي في القصيدة لا باعتبارها - أي القافية - وحدة عروضية منفصلة عن النص الشعري ؛ بل باعتبارها بنية متكاملة لها وظائف متعددة إيقاعية وجمالية ودلالية وسيمائية . وعليه تحاول هذه الورقة البحثية الإجابة عن الإشكالية الرئيسية التالية: ما وظيفة قافية الجملة الشعرية الإيقاعية و الدلالية؟. لذلك سينقسم البحث إلى قسمين : قسم نظري يتم التحدث فيه عن مفهوم القافية والجملة الشعرية باعتبارها - أي الجملة الشعرية - مصطلحاً حديثاً >>تمخض عن التجربة الشعرية التشكيلية الجديدة للقصيدة الحديثة >>² وقسم تطبيقي يتم فيه معالجة ما جاء في الجانب النظري وفيه قسمان : قسم سيكون الحديث فيه عن الوظيفة الإيقاعية للجملة الشعرية ، وقسم يكون الحديث فيه عن الوظيفة الدلالية لقافية الجملة الشعرية ، ثم خاتمة للورقة البحثية فيها عرض لأهم النتائج التي توصل إليها البحث. وقد اعتمد البحث على المنهج الأسلوبي في شقه التطبيقي باعتباره المنهج المناسب للقبض على السمات الأسلوبية للقافية .

2. الجانب النظري:

1.2 مفهوم القافية ووظيفتها الدلالية والإيقاعية :

1.1.2 مفهوم القافية

- لغة : مأخوذة من قولهم قفوت فلاناً إذا تبعته

- اصطلاحاً : لها تعريفات كثيرة إذ هي >> مصطلح يتعلق بآخر البيت يختلف فيه العلماء اختلافاً يدخل في عدد أحرفها وحركاتها>>³

إلا أن التعريف الشائع في كتب العروضيين هو تعريف الخليل حيث يعرفها بأنها:
>> آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن>>⁴
وقد تكون كلمة أو أكثر من كلمة أو بعض كلمة ، وتتكون القافية من حروف ستة هي :
الروي / الوصل / الخروج / الردف / التأسيس / الدخيل / ولكل منها تعريفه الخاص ، كما
أن لها ألقاباً خمسة هي : المترادف / المتواتر / المتدارك / المترابك / المتكاس / ولها عيوب
ستة معروفة مبسطة في كتب العروضيين إلا أن الذي يهمنا في بحثنا ليس تحديد
عناصرها وحروفها ؛ بل وظائفها المنوطة بها ، وسنتكلم هنا عن وظيفتها الإيقاعية /
الدلالية.

2.1.2 الوظيفة الإيقاعية : يرى القرطاجني >> أن القافية لها علاقة وثيقة بمعنى الإيقاع
وأثره النفسي لتكرار رويها ووقوعها في آخر البيت يتيح للقارئ فسحة من صمت تتجاوب
فيه القافية في ذاكرته فتكون أعلق بالحافضة>>⁵ لذلك فالقافية تشكل نهاية البيت
الشعري أو السطر الشعري أو الجملة الشعرية وهي >> مقوم أساسي من مقومات الإيقاع
الشعري ... إنها موضع وقف عروضي>>⁶ ، فالوقف الإيقاعي يعمل على ضبط الإيقاع
وانسجام النغم إذ أن هذه الأصوات التي تتكرر في نهايات الأبيات أو الأسطر الشعرية أو
الجمال الشعرية تشكل عنصراً مهماً من موسيقى النص الشعري ؛ فهذا الإيقاع الذي
تحدثه القافية من خلال التكرار والتوقع يكون بمثابة تنظيم لاستجابات النفس على نمط
معين فتتابع الحركات والسكنات على نحو خاص يريئ الذهن ليتقبل تتابعا جديداً من نفس
النوع ، غير أن الشعر المعاصر يعتمد التنويع في القافية وكسر الرتبة مما يخلق عنصر
المفاجأة و اللاتوقع مما يزيد من فاعلية النص الشعري ، ولا شك أن الشعر الحر يعتمد
القافية ولا غنى له عنها في رفق موسيقية النص الشعرية >> فالقافية ركن مهم في موسيقية
الشعر الحر لأنها تحدث رنيناً وتثير في النفس أنغاما وأصداء ، وهي فوق ذلك فاصلة قوية

واضحة بين الشطر والشطر والشعر الحر أحوج ما يكون إلى الفواصل خاصة بعد أن أغرقوه بالنثرية الباردة >>⁷

3.1.2 الوظيفة الدلالية : لقد صار من المسلم به أن القافية ترتبط ارتباطا وثيقا بالمعنى ؛ فهي ترتبط بما يسبقها من الكلمات ارتباطا عفويا ، بحيث تسوق المعاني و الأفكار إليها ، وتكون أحق بالموضوع دون غيرها ، فليس الهدف من القافية مجرد التوحيد بين أبيات القصيدة في حرف الروي وإن أحس القارئ باجتلابها واستدعائها ، وإنما هي ركن يدخل في سياق الكلام كله وتؤدي وظيفتها مع ما يجاورها من كلمات، ولذلك فإن وظيفة القافية >>لا يمكن أن تكتفي بدور الضابط الموسيقي المجرد وإلا فإن القصيدة تفقد بذلك جزءا مهما من حيويتها وقوة أدائها ، إذ لا بد لها أن تشترك اشتراكا فاعلا في التشكيل الدلالي كي تحتفظ بموقعها، وتكتسب رصانة خارج إطار إمكانية استبدالها>>⁸ وهذا يعني ارتباط إيقاع القافية بالدلالة والمعنى، ذلك أن هذه الأصوات التي يبتثها الشاعر في نهاية أسطره الشعرية أو الجملة الشعرية تؤدي وظيفة إيقاعية ضرورية؛ لأن الشاعر يؤكد بها من خلال تكرارها ؛ مما ينتج عنه وضوح سمعي ، ورنه موسيقية تتصل اتصالا بالمعنى الذي يروم الشاعر تأكيده ؛ لذلك ترى الشعراء يختارون قوافيا تتناسب ودفقاتهم الشعرية . >>فاختيار قافية القصيدة أبعد منالا من اختيار بحرهما ... والمرجع في ذلك إلى ملاءمة الذوق وغزارة المادة>>⁹ .

إن هذا الارتباط بين القافية والبنية الصوتية جعل للقافية >> جزءا من موقعها فهي توضع في نهاية قبل الوقف مباشرة وتتلقى من خلال وضعها نبرا خاصا والتجانس الصوتي يستحوذ على اهتمامنا، وفي الوقت نفسه ينصرم التوازي فهنا تشابه في الصوت حيث لا يوجد تشابه في المعنى ومدلولات مطروحة على أنها مختلفة تظهر من خلال دوال ملموحة على أنها متشابهة، و القافية تقلب قانون توازي الصوت والمعنى الذي يبني قانون تأمين الرسالة التي تحملها الكلمات >>¹⁰ إذا فللقافية دورها الدلالي لأنها

>> الصفة الاختتامية التي تتميز بها القافية سواء كانت في البيت أم في الجملة الشعرية أو المقطع الشعري أو عموم القصيدة لا يمكن لها أن تكتفي بدورها الضابط

الموسيقي المجرد إذ لا بد لها أن تشترك اشتراكا فاعلا في التشكيل الدلالي فثمة انسجام لابد أن يكون تاما بين بنية الإيقاع وبنية الدلالة؛ إذ أن أية مفارقة بينهما تؤدي بالضرورة إلى خلخلة وارتباك في الشكل العام لهيكل القصيدة، ويفقدها تماسكها النصي >>¹¹ من هنا تتضح تلك الأهمية البالغة للقافية وخطورتها، فلا يمكن الاستيعاض عنها بشيء آخر، إذ لا بد من وجودها كاستعمال أنواع أخرى من التقفية والموسيقى الداخلية .

2.2 الجملة الشعرية:

الجملة الشعرية >>مصطلح حديث تمخض عن التجربة الشعرية التشكيلية الجديدة للقصيدة الحديثة >>¹² ولا تتحدد سطورها بعدد معين، وذلك أنها تعتمد على الدقة الشعورية التي تتناسب في طول موجتها مع الموقف النفسي والعاطفي والفكري للتجربة الشعرية من جهة، ومع طول النفس عند الشاعر من جهة أخرى، كما أن لها استقلالية دلالية وإيقاعية مكتملة تلعب فيها القافية دورا مهما في إتاحة الفرصة للتوقف والاستمرار حسب ما تقتضيه الدقة الشعورية. فالشاعر له وقفات داخلية في الجملة الشعرية >> بمثابة قافية هذه الوقفات وظيفتها التصعيد الإيقاعي حد الذروة عند نهاية الجملة الشعرية >>¹³ وقد عرف عامر سعد الجملة الشعرية بقوله

>> هي القدر الكافي من الكلام أو الامتداد الشعري الذي يكشف تحليله كل ما يعمل في بنيته من مستويات أدت إلى رسم صورة شعرية أو جانب مؤثر منها >>¹⁴ ومن خلال هذا التعريف وبعد هذا العرض الموجز لمفهوم الجملة الشعرية سأتكلم عن ركن من أركان الجملة الشعرية، وأساس من أسسها ألا وهو القافية، ووظيفتها الإيقاعية /الدلالية من خلال ثلاث جمل شعرية يتحقق فيها المقصود من البحث .

3. الجانب التطبيقي:

قبل البدء سنعرض للجمال الشعرية الثلاثة مجملة ، ثم سنتكلم عن كل واحد منها على

حدة وفيما يلي عرض لها:

الجملة الشعرية الأولى : يقول الشاعر:

تبادل:

دائما نلتقي صدفة في الطريق قافية الجملة الشعرية
نتبادل أشياءنا: وقفة أولى
هي تأخذ اسعي لتلبسه وقفة ثانية

وأنا أرتدي غابة من حريق¹⁵ قافية الجملة الشعرية
الجملة الشعرية الثانية :
المدينة:

حجر فوق المدينه قافية الجملة الشعرية
فوقه ناي وقفة أولى
تدلى بين نجومات حزينه قافية الجملة الشعرية
كل ما في الأرض جبة الأرض قتيل : وقفة ثانية
(رجل الشارع .. أبواب البيوت المستكينه)¹⁶ قافية الجملة الشعرية
الجملة الشعرية الثالثة:
الغريب:

جاء من جنته يبحث عن دفتر حظ .. وقفة أولى
حمل النخل البعيد
في يديه .. قافية الجملة الشعرية
حينما صافح جدران الليالي والجليد .. وقفة ثانية
صارت النخلات تبكي
عن تراب أول وقفة ثالثة
واستقرت جمرة في جانبه ..¹⁷ قافية الجملة الشعرية
هذه هي الجمل الشعرية الثلاث مجملة كما وردت في ديوان الشاعر وفيما يلي دراسة
تطبيقية لكل واحدة على حدة .
1.3 إيقاع القافية (الجانب التطبيقي):

من خلال ملاحظة الجمل الثلاث نجد أن هناك أصواتا تتكرر في أواخر الأسطر الشعرية ، الأمر الذي يشكل موسيقى هذه الجمل ، حيث يكون هذا التكرار الصوتي >> كالفواصل الموسيقية التي ينتظر السامع تردها وستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الأذان في فترات زمنية منتظمة >>¹⁸ فهذه التعادلات الصوتية الموجودة في الجمل الشعرية الثلاث تشكل تناسقا وتمائلا يضيفي على الجملة الشعرية انتظاما نفسيا وموسيقيا وزمنا ، وفي الجملة الشعرية تكتسب القافية أفضلية كونها >> تؤدي دورا مهما في تحديد الجملة الشعرية و تشكيل موسيقاها >>¹⁹ ؛ مما يضيفي عليها بعدا تنغيميا ذا خصوصية إيقاعية كونها تمثل بنية إيقاعية مستقلة تعتمد على الدفقة الشعورية، ونلاحظ في الجمل الشعرية الثلاث أن كل جملة موحدة القافية ؛ ففي الجملة الشعرية الأولى كانت كلمات القافية هي : (الطريق / الحريق) فحرف الروي موحد ، وكذلك الأمر في الجملة الثانية فكلمات القافية هي (المدينه / حزينه / مستكينه) فحرف الروي هنا واحد هو النون ، وفي الجملة الشعرية الثالثة كانت كلمات القافية هي (يديه / جانبيه)، وقد كان لوحدة القافية في الجمل الثلاث أهمية من حيث التماسك الإيقاعي .

1.1.3 إيقاع القافية في الجملة الشعرية الأولى : نلاحظ فيها ذلك الإيقاع المتصاعد من خلال استعمال الشاعر لروي (القاف) ذلك الصوت الشديد المقلقل²⁰ ، والقلقة عبارة عن تقلقل مخرج الصوت عند خروجه ساكنا لتسمع له نبرة قوية²¹ ؛ فكان لحرف الروي هنا دوره في موسيقى القصيدة بنبرتها القوية، كما أن كلمات القافية شكلت فيما بينها تواشجا صوتيا محكما ذا بنية موسيقية مستقلة، كما كان لحرف الردف المتمثل في (الياء المدية الساكنة) دور في استطالة الإيقاع والزيادة من حدته وتصاعده ليتناسب مع روي القاف ، ويحقق بذلك إيقاعا قويا يحكم موسيقى الجملة الشعرية .

2.1.3 إيقاع القافية في الجملة الشعرية الثانية : نلاحظ فيها إيقاعا موسيقيا هابطا وخافتا بفعل روي (النون)، وهو حرف خيشومي يبعث إيقاعا يشي بالحزن والشجن، ومما زاد من إيقاع الحزن والشجن حرف الوصل المتمثل في (هاء السكت) التي ساهمت في ذلك

الإيقاع المتهادي والخافت، حيث انسحب على موسيقية الجملة الشعرية ككل ؛ فشكلت القافية بحروفها تشكيلا لصورة موسيقية حزينة .

3.1.3 إيقاع القافية في الجملة الشعرية الثالثة:

جاء الروي فيها حرف (الهاء الساكنة) وذلك لأن الياء الساكنة قبل الهاء لا يأتي بعدها وصل؛ فكانت هي حرف الردف، والهاء الساكنة هي حرف الروي. ونلاحظ هنا إيقاعا موسيقيا هادئا أيضا مستكينا سيطر على الجملة الشعرية كاملة ذلك أن الهاء حرف مهموس مهتوت - كما يقول ابن جني - ضعيف خافت أشاع على الجملة الشعرية إيقاعا موسيقيا هادئا جدا، فهذا الختام الصوتي والمجانسة الصوتية للحروف هو ما يجعل للقافية مكانتها في استقطاب التفاعل وجمال الإيقاع، وهو ما يعطي >> بعدا من التناسق والتماثل يضفي طابع الانتظام النفسي والموسيقي والزمني>>²² فالشاعر حين يتخذ من الوقفات الداخلية في الجملة الشعرية والتي هي هنا بمثابة قواف إنما يتخذها "كعوامل إقلاع وهبوط إيقاعي بحسب الدفقة الشعورية فهي بمثابة عناصر مساعدة للوصول إلى قافية الجملة الشعرية / الذروة الإيقاعية "²³

2.3 دلالة القافية :

يرتبط إيقاع القافية بالدلالة ارتباطا تاما ؛ فهي تصور تلك الهواجس، فتكون بذلك مشحونة بطريقة تحمل فكر المبدع وحالته النفسية ، وبالتالي فإن لها بعدا دلاليا فاعلا في إنتاج المعنى فهي ليست >>جزءا منفصلا مكملا يدخل في صميم العملية الشعرية من الخارج كما أنها ليست أداة قابلة للحذف والاستبدال والتعديل لأن دورها في تحقيق اللغة الشعرية لا يسمح بذلك >>²⁴ وعلى هذا الأساس تصبح القافية هي النهاية المناسبة للدفقة الشعورية في السطر الشعري أو الجملة الشعرية، وهي الخاتمة الوحيدة الملائمة من الناحية الإيقاعية والدلالية، فالشاعر يقوم بتحديد نمط القافية في مخيلته وفق خصوصية القصيدة وطبيعة تراثها الفكري والموضوعي والعاطفي، فهناك إذا ارتباط قائم بين القافية والإيقاع من جهة والقافية ودلالة من جهة أخرى .

إن القافية تمثل التفعيلة الأخيرة في السطر الشعري وهي بذلك تحمل العلاقات المتواشجة المسبقة لكونها تمثل مركز ثقل المعنى²⁵ ، كما أنها تعبر عن الإيقاع النفسي والدفعات الشعورية والتموجات الموسيقية التي تموج بها نفس الشاعر في حالة شعورية معينة . وفي الكلام عن دور القافية الدلالي سنتكلم عن حرف الروي أولاً لكونه أكثر الحروف ظهوراً في القافية ، ولكونه يتكرر في القصيدة أو الجملة الشعرية ، ولأهميته الواضحة إيقاعياً ودلالياً ، ثم سنتكلم ثانياً عن كلمات القافية ومدى موافقتها للغرض والمعنى المقصود ونقلها للحالة الشعورية و أثر ذلك في إنجاز الدلالة .

1.2.3 دلالة القافية في الجملة الشعرية الأولى :

تبادل :

دائماً نلتقي صدفة في الطريق قافية الجملة الشعرية

نتبادل أشياءنا: وقفة أولى

هي تأخذ اسمي لتلبسه وقفة ثانية

وأنا أرتدي غابة من حريق²⁶ قافية الجملة الشعرية

هنا يبرز حرف الروي (القاف) بصداه المعبر ؛ إذ يمتلك نبرة قوية ، فهو صوت شديد استثماره الشاعر ليدل عن حدة وشدة ما تتلبس به نفسه عند اللقاء . حيث أكد صوت القاف على معنى الحالة الشديدة التي عبر عنها الشاعر، فكان هناك علاقة بين حرف الروي وسياق الجملة الشعرية الذي ورد فيه ، حيث بدأ الشاعر الجملة الشعرية بـ سطر شعري بعده وقفان داخليتان كانتا بمثابة عوامل إقلاع للوصول إلى الذروة أقصد قافية الجملة الشعرية الختامية متمثلة في كلمة (الحريق). ولا يخفى ما لصوت القاف وكلمة الحريق من تناسب في المعنى فالقاف صوت شديد قوي حاد وكذلك كلمة الحريق ؛ فكانت كلمة القافية هنا منسجمة مع الحالة الشعورية للشاعر فأنتهى بها دفقته الشعورية .

2.2.3 دلالة القافية في الجملة الشعرية الثانية :

المدينة :

قافية الجملة الشعرية

حجر فوق المدينة

فوقه ناي

وقفة أولى

تدلى بين نجمات حزينه

قافية الجملة الشعرية

كل ما في الأرض جبة الأرض قتيل :

وقفة ثانية

(رجل الشارع .. أبواب البيوت المستكينه)²⁷ قافية الجملة الشعرية

لقد جاء حرف الروي هنا حرف (النون) ، والهاء بعده للإطلاق ، ومعلوم أن هذا المخرج النوني له "أنين" ينبعث منه وخفوت يصحبه وهدوء واستكانة تظهر عليه. فكان استثمار الشاعر له ليكون صوتا متميزا يلائم توقفه عليه وحالة الحزن والشجن التي تطفو على الجملة الشعرية ، من هنا كان اختيار الشاعر لهذا الصوت روبا لجملته الشعرية كونه "صوتا دالا معبرا هيجانيا يصدر من الصميم ليعبر بفطرة عضوية عن الألم العميق " >> ولذلك كان الصوت الرنان ذو الطابع النوني أي (المخرج النوني) الذي تتجاوب اهتزازاته الصوتية في التجويف الأنفي هو أصلح الأصوات قاطبة للتعبير عن مشاعر الألم²⁸ وعليه فقد حقق صوت النون بصورته الموسيقية وإيقاعه الحزين دلالة واضحة عبرت عن دفقة شعورية وتناسق مع حركة النفس فتقوت بذلك دلالة الكلام ، كما أن شاعرنا استعمل مع صوت النون هاء التأنيث ليزيد من إيقاعية الجملة فيعطي قدرا أكبر للصورة الموسيقية من جهة ، وليعبر أكثر عن حالته الشعورية بإطلاق هذه الاستكانة التي يشيعها صوت النون . فكان صوت النون يعبر عن ما يخترق وجدانه داخليا ، ويبقى ذلك الشعور قابعا في روحه فتأتي الهاء لتطلق جرعة الألم الذي يمزقه من الداخل. وبملاحظة الجملة الشعرية مرة أخرى نلاحظ أن شاعرنا قد توقف وقفة أولى داخلية ليصل إلى قافية الجملة الشعرية الأولى والتي عبرت عنها كلمة (حزينة) ، ولا يخفى ما يوجد من تماسك شديد بين هذه الكلمة وبين حرف الروي (النون) لينطلق مرة أخرى وليتوقف وقفة ثانية عند كلمة (قتيل) ليتخذ منها عامل إقلاع جديد حتى يصل إلى قافية الجملة الشعرية الختامية والتي عبرت عنها كلمة (مستكينة) ، حيث بلغت دفته الشعورية هنا ذروتها فجاءت القافية نهاية

إيقاعية / دلالية مناسبة جدا ، وارتبطت شعوريا وفكريا كلمات الجملة (ناي / حزينه / قتيل) ترتبط ارتباطا واضحا بكلمة القافية الختامية التي شكلت نهاية مناسبة ومركز ثقل لبقية الكلمات .

3.2.3 دلالة القافية في الجملة الشعرية الثالثة:

الغريب :

جاء من جنته يبحث عن دفتر حظ .. وقفة أولى

حمل النخل البعيد

في يديه .. قافية الجملة الشعرية

حينما صافح جدران الليالي والجليد .. وقفة ثانية

صارت النخلات تبكي

عن تراب أول وقفة ثالثة

واستقرت جمرة في جانبه ..²⁹ قافية الجملة الشعرية

لقد كان روي الجملة الثالثة هو حرف (الهاء الساكنة) ، والهاء الساكنة صوت مهموس ضعيف ليس فيه قوة خاصة إذا كان ساكنا ، وهذا الضعف قد سيطر على جو القصيدة كلها ؛ حيث ارتبطت هذه الصفة - أي صفة الضعف - ارتباطا مباشرا بالحالة النفسية والشعورية للشاعر في هذه الجملة ، وقد جاء عنوانها يحمل اسم (الغريب) وفي الغريب البعيد عن وطنه ضعف وخوف واستكانة فكأن الشاعر فكر في نبرة ووقفة تكون ذات خصوصية إيقاعية ودلالية تنطوي على معان في نفسه تؤدي الغرض المقصود فاختار روي الهاء ليتناسب المفهوم والمسموع في علاقات صوتية لا تنفصل عن العلاقات الدلالية ؛ فارتباط العلاقات الصوتية بالدلالة يجعل من القافية ركنا أساسيا في البناء لا مجرد وحدة عروضية >> إذ لا بد لها أن تشترك اشتراكا فاعلا في التشكيل الدلالي ... فثمة انسجام لا بد أن يكون بين بنية الإيقاع وبنية الدلالة إذ أن أية مفارقة بينهما تؤدي بالضرورة إلى خلخلة وارتباك في الشكل العام لهيكل القصيدة ويفقدها تماسكها النصي >>³⁰ وهو ما نلاحظه في هذه الجملة ، حيث نجد تماسكا نصيا ، وانسجاما تاما بين إيقاع القافية و

الحالة الشعورية ؛ إذ جعل منها الشاعر مركز ثقل مهم في جملته الشعرية . فإيقاع الهاء الساكنة ما فيه من خفوت وهمس جاء متناسبا مع حركة الشاعر النفسية والشعورية ، كما ارتبطت كلمات القافية (يديه/جانبه) مع مضمون الجملة الشعرية فالغريب في غير أرضه لا يعرف أحدا فتراه يديه تارة عله يجد ما ينفع به نفسه ، وينظر إلى جانبه تارة أرى حاسبا أن كل الناس تراقبه لشعوره بالغربة والنأي ؛ فهو يشعر بألم الغربة والوحشة حيث جاء هذا الشعور مرتبطا بكلمات الجملة الشعرية الأخرى (البعيد / الليل / الجليل / تبكي/ جمرة) فكانت وقفات الشاعر الداخلية في الجملة الشعرية قوافيا ليصل إلى توقيع نفسي ختامي .

وبالجملة فإن للقافية >>خاصية موسيقية جوهرية هي ذلك الإيقاع الناشئ عن تساوق والسكنات مع الحركة الشعورية لدى الشاعر ... وذلك تبعاً لنوع الدفعات والتموجات الموسيقية التي تموج بها نفسه في حالته الشعورية المعينة>>³¹

4. خاتمة:

من خلال ما سبق يتبين أهمية القافية ووظيفتها الإيقاعية والدلالية حيث أن الإيقاع يرتبط بالدلالة ارتباطا وثيقا من أجل القيام بوظيفة الإبلاغ عن المعنى ، كما أن القافية ترتبط بما سبقها من وحدات معجمية في علاقة تواشجية تمثل فيها القافية مركز ثقل المعنى الذي تحوم حوله بقية الوحدات المعجمية .

أما النتائج المتوصل إليها فهي :

- أن وظيفة القافية لا تقتصر على الجانب الصوتي بل تتجاوز ذلك إلى الدلالة وعلاقتها بالمعنى.

- أن القافية ليست وحدة عروضية منفصلة بل ركنا أساسيا تتبين وظيفتها الحقيقية في علاقتها بالمعنى.

- أن القافية ترتبط بالضرورة بالبنية الكلية للنص أو الجملة الشعرية

- أن القافية صفة اختامية في الجملة الشعرية يجب أن تكون توقيعاً قويا يمثل

ذروة الدفقة الشعورية في الجملة الشعرية.

- أن في الجملة الشعرية وقفات داخلية هي بمثابة قواف مساعدة للإقلاع من أجل الوصول إلى القافية الذروة (الختامية).
- أن القافية تعتبر مركز ثقل فهي تختزل الوحدات المعجمية الموجودة في النص الشعري أو الجملة الشعرية.
5. الهوامش:

- ¹ نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، منشورات مكتبة النهضة، ط 3، بيروت، لبنان، 1967م. ص: 164.
- ² عبيد محمد صابر، عضوية الأداة الشعرية، دارغيداء للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، الأردن، 2016م. ص: 152
- ³ رشيد العبيدي، معجم مصطلحات العروض والقوافي، مطبعة جامعة بغداد، 1986م. ص: 207.
- ⁴ القير واني ابن رشيقي، أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر ونقده وأدابه، تعليق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ط 5، بيروت - لبنان، 1981. ص: 151.
- ⁵ عبد الفتاح صالح، عضوية الموسيقى في النص الشعري الحديث مكتبة المنار، ط 1، الأردن، 1985م. ص: 76.
- ⁶ حنون مبارك، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية نموذج الوقف، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط 1، الجزائر، 2010م، ص: 102.
- ⁷ نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، ط 6، بيروت، لبنان، مارس 1987م. ص: 191.
- ⁸ عبيد محمد صابر، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الإيقاعية والبنية الدلالية (حساسية الانبثاق الشعرية الأولى - جيل الرواد والسنتينات) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001م ص: 91.
- ⁹ البستاني سليمان، نظرية الشعر- مقدمة ترجمة الإلياذة- تحرير وتقديم محمد كامل الخطيبي منشورات وزارة الثقافة، ط 3، سوريا، دمشق 1996م. ص: 96.
- ¹⁰ كوين جون، بناء لغة الشعر، تحقيق أحمد درويش، دار المعارف، ط 1، القاهرة، مصر، 1993م. ص: 99. 100
- ¹¹ عبيد محمد صابر، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الإيقاعية والبنية الدلالية (حساسية الانبثاق الشعرية الأولى - جيل الرواد والسنتينات) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001م ص: 91.
- ¹² عبيد محمد صابر، عضوية الأداة الشعرية، دارغيداء للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، الأردن، 2016م. ص: 116.
- ¹³ ضيف الله بشير، إيقاع القافية الشعرية، مجلة النبراس - مجلة أدبية إلكترونية، 03 تاريخ النشر: 10/10/2019/ 2017/09 الساعة 03:20، تاريخ الاطلاع: 10/10/2019.
- <https://nebras1douidi.blogspot.com/2017/09/3.html>
- ¹⁴ السعد عامر، الدلالة الوظيفية في بنية الجملة الشعرية، كلية الآداب-جامعة البصرة، العراق، د. ط 1991م. ص: 90.

¹⁵ الأخضر فلوس، ديوان مرثية الرجل الذي رأى، منشورات الاختلاف ، د. ط، الجزائر العاصمة، 2002م ص : 08.

¹⁶ المرجع نفسه ص:41.

¹⁷ المرجع نفسه ص:42.

¹⁸ د. أنيس إبراهيم ، موسيقى الشعر. مكتبة الأنجلو المصرية ، ط1، مصر، 1987م. ص : 246.

¹⁹ شريف عثمان عباس، أدوات البناء الفني في شعر أمل دنقل ، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا قسم

اللغة العربية ، السودان، مطبعة جامعة الخرطوم، 2009م. ص : 34.

²⁰ روعة محمد ناجي، علم الأصوات وأصوات اللغة العربية المؤسسة الحديثة للكتاب، ط1، بيروت ، لبنان، 2012م. ص: 82.

²¹ زرقة أحمد، أسرار الحروف:: دار الحصاد للنشر والتوزيع ، ط1، دمشق ، سورية، 1993م. ص: 94.

²² أدونيس أحمد سعيد، الشعرية العربية، دار الآداب ط1، بيروت ، لبنان ، 1985م. المجلد 1، ص : 13.

²³ ينظر ضيف الله بشير. إيقاع القافية الشعرية ، مصدر سابق .

²⁴ عبيد محمد صابر. القصيدة العربية الحديثة بين البنية الإيقاعية والبنية الدلالية (حساسية الانبثاق

الشعرية الأولى – جيل الرواد والمستينات) منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2001م ص : 89.

²⁵ عقيل عبد السلام مقدم ، سالم يعقوب يوسف.. القافية وبنائها الصوتي في شعر الرثاء الحسيني المعاصر في

العراق 1980/2015م. حولية المنتدى ، العراق ، البصرة ، المجلد 1 ، العدد 30 ، (جوان ، 2017) ص: 12.

²⁶ الديوان ص: 08.

²⁷ الديوان ص: 41.

²⁸ أنور عبد الحميد، أبجديات اللغة وعلم الأصوات واللسانيات ، دار النهضة العربية ، ط1، بيروت، لبنان

2016م. ص: 166.

²⁹ الديوان ص: 42.

³⁰ عبيد محمد صابر. القصيدة العربية الحديثة بين البنية الإيقاعية والبنية الدلالية مصدر سابق ص : 91.

³¹ الصباغ رمضان ، الموسيقى والإيقاع في الشعر الحر ، صفحة الحوار المتمدن ، تاريخ النشر: 2017/03/10.

الساعة : 18: 23 ، تاريخ الاطلاع : 11/10/2019 ،

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=551142&r=0>

*** **